التحليل الإحصائي للظواهر اللغوية في القرآن الكريم باستخدام الذكاء الاصطناعي: دراسة في الأنماط والتكرار والدلالة

م. د. محمود نوري الحاتمي

الملخص

يتناول هذا البحث التحليل الإحصائي للظواهر اللغوية في القرآن الكريم باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، بوصفه مدخلًا منهجيًا يهدف إلى استكشاف الأنماط والتكرار والعلاقات الدلالية دون اختزال النص القرآني إلى أرقام أو إفراغه من مقاصده. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن اللغة القرآنية بنية مقصودة في اختيار ألفاظها وتراكيبها، وأن التكرار فيها ليس حشوًا أسلوبيًا، بل عنصرًا دلاليًا يؤدي وظائف متعددة تتكشف بالجمع بين القراءة اللغوية والتحليل الإحصائي المنضبط. ويعرض البحث الإطار المفاهيمي للتحليل الإحصائي في الدراسات القرآنية، مميّزًا بين العدّ الوصفي والكشف المنهجي، ومناقشًا حدود هذا المدخل حين يتعامل مع نص مقدّس ذي طبيعة دلالية مركّبة. ثم ينتقل إلى بيان الدور الذي يمكن أن يؤديه الذكاء الاصطناعي في معالجة النص القرآني، من حيث قدرته على رصد الأنماط اللفظية والتركيبية، وبناء شبكات ترابط بين الألفاظ والموضوعات، مع التأكيد على أن هذه القدرات لا تنتج المعنى بذاتها، بل تهيئ معطيات تحتاج إلى تأويل لغوي وسياقي. ويبرز البحث مخاطر الانبهار بالنتائج الرقمية، وتحويل الترابط الإحصائي إلى دلالة تفسيرية قطعية، داعيًا إلى ضبط الاستنتاجات بضوابط لغوية ومنهجية صارمة. ويخلص إلى أن التحليل الإحصائي المدعوم بالذكاء الاصطناعي يمكن أن يسهم في تعميق فهم البنية اللغوية للقرآن الكريم، متى ما استُخدم بوصفه أداة كاشفة ضمن منهج تفسيري واعٍ، لا بديلاً عنه.

الكلمات المفتاحية: التحليل الإحصائي، اللغة القرآنية، الذكاء الاصطناعي، التكرار اللفظي، الدلالة

Abstract

This study examines the statistical analysis of linguistic phenomena in the Holy Qur'an using artificial intelligence as a methodological approach aimed at exploring patterns, repetition, and semantic relations without reducing the Qur'anic text to mere numbers or stripping it of its purposes. The research is grounded in the assumption that Qur'anic language is a deliberate structure in its lexical and syntactic choices, and that repetition within it serves meaningful functions rather than stylistic redundancy. These functions can be more clearly identified through a disciplined integration of linguistic interpretation and statistical analysis.

The study outlines the conceptual framework of statistical analysis in Qur'anic studies, distinguishing descriptive counting from systematic pattern detection, and discussing the limits of this approach when applied to a sacred text with complex semantic layers. It then analyzes the role of artificial intelligence in processing the Qur'anic text, particularly its ability to detect lexical and structural patterns and to construct networks linking words and themes. The study emphasizes that such capabilities do not generate meaning independently but provide data that require linguistic and contextual interpretation.

The research also highlights the risks of excessive reliance on numerical results and the tendency to convert statistical correlations into definitive interpretive claims. It concludes that AI-supported statistical analysis can contribute meaningfully to understanding the linguistic structure of the Qur'an, provided it is employed as an auxiliary, exploratory tool within a rigorous interpretive methodology, rather than as a substitute for it.

Keywords: Statistical Analysis, Qur'anic Language, Artificial Intelligence, Lexical Repetition, Semantics

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لم يكن الاهتمام باللغة القرآنية في تاريخ الفكر الإسلامي اهتمامًا شكليًا أو لغويًا محضًا، بل كان دائمًا مدخلًا لفهم أعمق للمعنى، ولتلمّس خصوصية النص الذي لا تُستنفد دلالته بقراءة واحدة ولا يُختزل في مستوى واحد من الفهم. غير أن التحوّل الذي يشهده العالم المعاصر في أدوات المعرفة أعاد طرح أسئلة قديمة بصيغة جديدة: ماذا يمكن أن تكشف الأرقام عن نصٍّ بُني أصلًا ليُقرأ ويُتدبّر؟ وهل يمكن للتحليل الإحصائي، حين يستند إلى الذكاء الاصطناعي، أن يفتح أفقًا معرفيًا جديدًا في دراسة الظواهر اللغوية في القرآن الكريم، دون أن يتحوّل إلى عملية تفكيك باردة تفصل اللفظ عن روحه؟ في هذا السياق تتشكّل خلفية هذا البحث، حيث تتقاطع علوم اللغة، والدراسات القرآنية، وتقنيات التحليل الحاسوبي، في مساحة معرفية لم تعد هامشية كما كانت في السابق.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يتعامل مع مسألة مزدوجة الحساسية: حساسية النص القرآني من جهة، وحساسية الأداة التحليلية من جهة أخرى. فالتحليل الإحصائي المدعوم بالذكاء الاصطناعي يَعِد بقدرة غير مسبوقة على معالجة النصوص الكبيرة، واكتشاف أنماط التكرار، وبناء شبكات ترابط لغوي ودلالي لا يمكن للعقل الفردي الإحاطة بها بسهولة. غير أن هذه الوعود، إن لم تُقابل بوعي منهجي صارم، قد تنقلب إلى اختزال للغة القرآنية في معادلات رقمية، تُضخّم ما هو قابل للقياس وتُهمّش ما هو جوهري في الخطاب القرآني. من هنا تأتي أهمية البحث لا في استعراض قدرة التقنية، بل في اختبار حدودها، وتحديد موقعها الصحيح في خدمة الفهم لا في توجيهه قسرًا.

وتتبلور الإشكالية المركزية للبحث في سؤال مركّب: إلى أي حد يمكن للتحليل الإحصائي القائم على الذكاء الاصطناعي أن يسهم في فهم الظواهر اللغوية في القرآن الكريم، من حيث الأنماط والتكرار والدلالة، دون أن يقع في فخ تحويل الترابط العددي إلى معنى تفسيري قطعي؟ هذه الإشكالية لا تتعلّق بصحة الأداة التقنية فحسب، بل بطبيعة الانتقال من الرقم إلى المعنى، ومن النمط إلى الدلالة. فليس كل تكرار دلالة، وليس كل نمط دليل قصد، وهنا تكمن المنطقة الرمادية التي يسعى هذا البحث إلى تفكيكها، لا بإنكار التحليل الإحصائي ولا بتقديسه.

ومن هذا المنطلق، يهدف البحث إلى إعادة النظر في موقع التحليل الإحصائي ضمن الدراسات اللغوية القرآنية، وبيان الفرق بين العدّ الوصفي والكشف المنهجي، وبين الاستخدام الاستكشافي للأداة والاستخدام التفسيري المتجاوز لحدودها. كما يسعى إلى إبراز الدور الحقيقي الذي يمكن أن يؤديه الذكاء الاصطناعي في هذا المجال، بوصفه أداة مساعدة على الرؤية الشمولية، لا مصدرًا مستقلًا لإنتاج الدلالة. الهدف هنا ليس الوصول إلى نتائج نهائية مغلقة، بل بناء إطار نقدي يسمح بتوظيف التقنية دون أن تفرض منطقها على النص.

أما من حيث المنهجية، فيعتمد البحث منهجًا تحليليًا نقديًا ذا طابع تكاملي. فهو يستفيد من أدوات التحليل الإحصائي والذكاء الاصطناعي في رصد الأنماط اللغوية والتكرارات، لكنه يُخضع هذه النتائج لقراءة لغوية وسياقية دقيقة، تستحضر خصائص اللغة العربية، وطبيعة الخطاب القرآني، وتراكم الجهد التفسيري والبلاغي في التراث الإسلامي. ولا يتعامل البحث مع النتائج الرقمية بوصفها معطيات نهائية، بل باعتبارها مؤشرات تحتاج إلى تفسير، ومادة خام لا تكتسب معناها إلا داخل إطار لغوي ودلالي أوسع.

وانطلاقًا من هذه الرؤية، انتظمت خطة البحث في مبحثين رئيسين. يتناول المبحث الأول الأسس المنهجية للتحليل الإحصائي في دراسة اللغة القرآنية، من حيث ضبط مفهوم الظاهرة اللغوية، وبيان نشأة التحليل الإحصائي وحدوده، وتحديد موقع الذكاء الاصطناعي بوصفه أداة تحليل لا بديلاً عن الفهم. أما المبحث الثاني فينتقل إلى دراسة الأنماط والتكرار والدلالة في القرآن الكريم في ضوء التحليل الإحصائي المدعوم بالذكاء الاصطناعي، مع التركيز على كشف العلاقات الممكنة بين اللفظ والسياق، ومساءلة حدود الاستنتاج، وضبط الانتقال من النمط العددي إلى الفهم الدلالي.

وبهذا، لا تسعى هذه المقدمة إلى تمهيد طريق مريح للقارئ، بل إلى وضعه منذ البداية أمام طبيعة البحث وحدوده وأسئلته المفتوحة. فالتحليل الإحصائي، مهما بلغت دقته، يظل أداة، والذكاء الاصطناعي، مهما تطوّر، يظل وسيطًا. أما المعنى القرآني، فيبقى أوسع من أن يُختزل في رقم، وأعمق من أن يُستخرج دون تدبّر.

المبحث الأول: الأسس المنهجية للتحليل الإحصائي في دراسة اللغة القرآنية

المطلب الأول: الظواهر اللغوية في القرآن الكريم بين البنية والدلالة

حين نطرح سؤال «الظاهرة اللغوية» في القرآن الكريم، فنحن لا نسأل عن عنصر لغوي معزول يمكن عزله بسهولة ووضعه تحت المجهر، بل نقترب من نسيج متشابك تتداخل فيه البنية مع الدلالة، ويصعب فيه الفصل بين ما هو لفظي خالص وما هو سياقي مقصود. الظاهرة هنا قد تكون تكرارًا، وقد تكون ترتيبًا تركيبيًا، وقد تكون نمطًا دلاليًا يتخفّى خلف تنوّع الألفاظ. الإشكال يبدأ حين نتعامل مع هذه الظواهر بعقلية العدّ وحده، فنظن أن ما يتكرر عدديًا هو بالضرورة ما يتقدّم دلاليًا، بينما الواقع القرآني أكثر مراوغة وعمقًا من هذا التبسيط.(١)

اللغة القرآنية ليست لغة عفوية ولا محايدة، بل لغة مقصودة في اختيار مفرداتها، وفي توزيعها، وفي مواضع حضورها وغيابها. اللفظ في القرآن لا يُستعمل لأنه الأقرب معجميًا فقط، بل لأنه الأنسب سياقيًا، والأدق دلاليًا، والأقدر على حمل المقصد. هذه القصدية تجعل من كل ظاهرة لغوية بنية ذات معنى، لا مجرّد تكرار صوتي أو شكلي. من هنا يصبح التعامل مع اللغة القرآنية بوصفها «مادة قابلة للإحصاء» تعاملًا ناقصًا إن لم يُدعَم بوعي بأن هذا الإحصاء لا يلامس إلا القشرة الأولى من الظاهرة.(٢)

ويظهر هذا بوضوح في مسألة التكرار. التكرار في الخطاب القرآني ليس إعادة آلية للفظ، بل أداة بلاغية لها وظائف متعددة: التوكيد، والتذكير، وبناء الإيقاع، وربط المقاطع بعضها ببعض. حين نقرأ التكرار بعين بلاغية، نفهمه ضمن سياق السورة، وضمن حركة الخطاب، وضمن المقام الذي ورد فيه. أما حين نقرأه بعين إحصائية بحتة، فإننا نراه رقمًا يتكرر، دون أن نعرف لماذا تكرر هنا دون هناك، ولماذا غاب في موضع آخر. الفرق بين القراءتين ليس في النتيجة فقط، بل في طبيعة السؤال الذي يُطرح من البداية.(٣)

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ج٢، ص ٢٩٨

(٢) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، ص ٤٧

(٣) الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص ١١٢

هذا لا يعني أن التكرار غير صالح للتحليل الإحصائي، بل يعني أن صلاحيته مشروطة. الإحصاء يمكن أن يكشف كثافة الحضور، وتوزيع الألفاظ، وأنماط التكرار عبر السور أو الموضوعات، لكنه لا يملك أن يقرّر الدلالة. حين يُفصل الإحصاء عن البلاغة، يصبح التكرار ظاهرة «صامتة»، وحين يُدمج بوعي منهجي، يتحول إلى مؤشر يساعد الباحث على طرح أسئلة أعمق، لا على تقديم أجوبة نهائية. الخلط بين هذين المستويين هو ما أدّى في كثير من الدراسات المعاصرة إلى نتائج مثيرة ظاهريًا، لكنها فقيرة دلاليًا.(١)

ولا يقتصر الأمر على التكرار اللفظي، بل يمتد إلى الظواهر التركيبية. فالتركيب في القرآن ليس ترتيبًا نحويًا فحسب، بل بناء دلالي يتغيّر فيه المعنى بتغيّر التقديم والتأخير، أو بالحذف، أو بالعدول عن الصيغة المألوفة. هذه الظواهر يصعب التقاطها بالعدّ المباشر، لكنها قد تظهر جزئيًا عبر التحليل الإحصائي حين يُقارن توزيع التراكيب، أو تكرار أنماط نحوية معينة. غير أن هذه النتائج تظل بحاجة إلى تفسير لغوي عميق، لأن التركيب في ذاته لا يحمل دلالته على سطحه.(٢)

ومن هنا يتبيّن أن الظاهرة اللغوية في القرآن الكريم لا تُختزل في وحدة واحدة قابلة للقياس السريع. هي بنية مركّبة، يتداخل فيها اللفظ مع السياق، والتركيب مع المقصد، والتكرار مع الوظيفة البلاغية. أي محاولة لفصل هذه العناصر بحجة «التجريد العلمي» تُنتج قراءة مبتورة، قد تبدو دقيقة في أرقامها، لكنها فقيرة في فهمها. هذا هو الفارق الجوهري بين العدّ بوصفه أداة وصف، والتحليل بوصفه مدخلًا للفهم.(٣)

ويزداد هذا الإشكال تعقيدًا حين تدخل تقنيات الذكاء الاصطناعي على الخط. فهذه التقنيات قادرة على معالجة كميات ضخمة من النصوص، واستخراج أنماط متشابكة بسرعة مذهلة، لكنها تتعامل مع اللغة بوصفها بيانات، لا بوصفها خطابًا. الخطر هنا ليس في التقنية ذاتها، بل في الوهم الذي قد يصيب الباحث حين يظن أن كثافة النتائج تعني عمق الفهم. الذكاء الاصطناعي قد يخبرنا كم

---

(١) مناهج البحث في علوم القرآن، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٦٤

(٢) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٠، ص ٨٩

(٣) العقل والعلم في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٩٩١، ص ٢٠١

مرة تكرر لفظ ما، لكنه لا يخبرنا لماذا جاء في هذا السياق دون غيره، ولا لماذا غاب في موضع كان حضوره فيه ممكنًا لغويًا.(١)

لهذا السبب، يصبح التحذير من الخلط بين العدّ والمعنى ضرورة منهجية لا ترفًا نظريًا. العدّ مرحلة أولى، أشبه بجمع المادة الخام، أما المعنى فهو ثمرة قراءة مركّبة تحتاج إلى لغة، وسياق، وبلاغة، ومعرفة بتراكم التفسير. حين يُختصر هذا المسار في نتيجة رقمية، فإننا لا نكون قد قرأنا القرآن قراءة جديدة، بل نكون قد غيّرنا أداة القراءة دون أن نغيّر منطقها. وهذا التغيير الشكلي هو أخطر ما يمكن أن يقع فيه الباحث المعاصر.(٢)

وفي ضوء ذلك كله، يمكن القول إن الظواهر اللغوية في القرآن الكريم تشكّل مجالًا خصبًا للتحليل الإحصائي، لكنها في الوقت نفسه مجال شديد الحساسية. النجاح هنا لا يتحقق بكثرة الجداول ولا بتعقيد الخوارزميات، بل بقدرة الباحث على إبقاء السؤال الدلالي حيًا خلف كل رقم. الإحصاء يخدم الفهم حين يُوضع في مكانه الصحيح، ويشوّهه حين يُرفع إلى مقام التفسير. هذه القاعدة البسيطة هي ما ينبغي أن يحكم أي اشتغال إحصائي على لغة القرآن، سواء تمّ بأدوات تقليدية أم بوساطة الذكاء الاصطناعي.(٣)

المطلب الثاني: التحليل الإحصائي في الدراسات القرآنية – النشأة وحدود المنهج

لم يظهر التحليل الإحصائي في الدراسات القرآنية دفعة واحدة، بل تسلّل ببطء، في صورة محاولات عدٍّ وحصرٍ بدت في بدايتها بريئة ومحدودة الأثر. كان الدافع الأول أقرب إلى الفضول المنهجي: كم مرّة تكرّر لفظ بعينه؟ كيف توزّعت بعض الألفاظ على السور؟ أيّ الجذور أكثر حضورًا؟ هذه الأسئلة لم تكن تسعى إلى إنتاج معنى جديد، بل إلى تنظيم المادّة اللغوية، وكأنها تمهّد

---

(١) الفكر المعلوماتي المعاصر وأبعاده الفلسفية، أحمد زكي بدوي، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٣٣

(٢) مناهج البحث في الفكر الإسلامي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٧١

(٣) الفكر العلمي وأزمة اليقين، عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٥٦

الطريق لقراءة أوسع. في تلك المرحلة، لم يكن الإحصاء منافسًا للتفسير ولا بديلًا عنه، بل خادمًا صامتًا له، يعمل في الهامش ولا يطمح إلى مركز الدلالة.(١)

ومع تطوّر أدوات البحث، انتقل الإحصاء من كونه مجرّد عدٍّ يدوي إلى مقاربة منهجية تحاول أن ترى في التكرار نسقًا، وفي التوزيع دلالة، وفي الكثرة قصدًا. هنا بدأ التحليل الإحصائي يخرج من موقع الوصف إلى أفق التفسير المحتمل. بعض هذه المحاولات كان واعيًا بحدوده، يطرح نتائجه في صيغة مؤشرات لا أحكام، وبعضها اندفع إلى الأمام، فحمّل الأرقام أكثر مما تحتمل، وربط بين التوافق العددي والقصد الدلالي ربطًا مباشرًا. هذا التحوّل لم يكن تقنيًا فحسب، بل كان تحوّلًا في العقلية الباحثة، من عقل يَسأل الأداة إلى عقل يُسلّم لها زمام الاستنتاج.(٢)

تكمن قوة التحليل الإحصائي، حين يُحسن استخدامه، في قدرته على كشف ما قد يغيب عن الملاحظة الفردية. التوزيع غير المتوازن للألفاظ، أو اقتران مفردات معيّنة بسياقات مخصوصة، أو تكرار بنى لغوية في مقاطع دون غيرها، كلها ظواهر قد تفتح باب التساؤل الدلالي. الإحصاء هنا لا يقول «هذا هو المعنى»، بل يهمس: «انتبه، هنا شيء يستحق النظر». هذه الهمسة هي القيمة الحقيقية للمنهج، لأنه يوسّع مجال الرؤية دون أن يدّعي امتلاكها.(٣)

غير أن مكمن القصور يظهر حين يتحوّل الإحصاء من أداة إثارة للأسئلة إلى أداة إنتاج للأجوبة. الرقم بطبيعته مغرٍ، لأنه يوحي بالحياد والدقة والصرامة. لكن هذا الإيحاء قد يكون خادعًا، لأن الرقم لا يحمل سياقه معه، ولا يشرح سبب حضوره أو غيابه. حين يُنتزع اللفظ من سياقه، ويُعرض في جدول، يفقد جزءًا من حياته الدلالية. وحين تُبنى القراءة على هذا الانتزاع، يتحول التحليل الإحصائي إلى عملية اختزال، تُبسّط الظاهرة إلى حد إفراغها من معناها.(٤)

تزداد هذه الإشكالية وضوحًا حين نتذكّر أن القرآن نصّ دلالي مقدّس، لا نصّ معلوماتي محايد. اللغة فيه ليست مجرد ناقل للمعنى، بل جزء من بنائه، والتكرار فيه ليس دائمًا مؤشر كثافة، بل قد يكون أداة إيقاعية، أو وسيلة ترسيخ، أو حركة بلاغية مرتبطة بالمقام. المنهج الإحصائي، بطبيعته

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ج٢، ص ٣١٧

(٢) مناهج البحث في علوم القرآن، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٧٢

(٣) العقل والعلم في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٩٩١، ص ٢١٤

(٤) الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٣٩

التجريدية، يميل إلى تسوية هذه الفروق الدقيقة، ما لم يُدعَم بقراءة لغوية وسياقية واعية. هنا تتجلّى حدود المنهج: ما يكسبه من شمول قد يخسره من عمق إن تُرك وحده.(١)

ومع دخول التقنيات الحاسوبية الحديثة، ولا سيما الذكاء الاصطناعي، اتّسعت قدرات التحليل الإحصائي إلى مدى غير مسبوق. لم يعد السؤال: هل نستطيع العدّ؟ بل: ماذا نفعل بكل ما نعدّه؟ كثرة النتائج لا تعني بالضرورة جودة الفهم، بل قد تخلق ضبابًا جديدًا يحجب المعنى بدل أن يكشفه. هنا يصبح خطر الاختزال مضاعفًا: اختزال النص إلى بيانات، واختزال الدلالة إلى ترابطات رقمية. الإحصاء في هذه الحالة لا يعود كاشفًا، بل يتحوّل إلى شاشة لامعة تخفي خلفها فقرًا تأويليًا.(٢)

ومن ثمّ، يمكن القول إن حدّ المنهج الإحصائي في الدراسات القرآنية يتحدّد عند النقطة التي يبدأ فيها بادّعاء ما ليس له. متى التزم بدوره الوصفي الاستكشافي، كان إضافة حقيقية، ومتى تجاوز ذلك إلى تقرير الدلالة أو إثبات القصد، انقلب إلى عبء منهجي. هذا الحدّ ليس تقنيًا، بل معرفي وأخلاقي في آن واحد، لأنه يتعلّق بمسؤولية الباحث أمام النص الذي يتعامل معه.(٣)

إن الإحصاء، في نهاية المطاف، أعمى بلا تفسير، كما أن التفسير بلا معطيات قد يتحول إلى انطباع. الموازنة بين الاثنين هي التحدّي الحقيقي. التحليل الإحصائي يخدم الدراسات القرآنية حين يُستخدم كمرآة تُظهر بعض ملامح النص، لا كعدسة تفرض عليه شكلًا واحدًا للرؤية. عند هذا الحد فقط يمكن القول إن الإحصاء كشف، لا اختزال.

المطلب الثالث: الذكاء الاصطناعي بوصفه أداة تحليل لغوي للنص القرآني

حين يدخل الذكاء الاصطناعي إلى ميدان تحليل اللغة القرآنية، لا يدخل باعتباره منهجًا جديدًا بقدر ما يأتي بوصفه امتدادًا للأداة. المنهج، في جوهره، ما زال هو ذاته: سؤال لغوي، ووعي بالسياق، وحذر من القفز من الظاهرة إلى الدلالة. الجديد هو السرعة، والسعة، والقدرة على التعامل مع كميات من النص لا يطيقها الجهد الفردي. هذا الفرق الدقيق بين الأداة والمنهج هو ما ينبغي تثبيته

---

(١) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٠١

(٢) الفكر المعلوماتي المعاصر وأبعاده الفلسفية، أحمد زكي بدوي، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٤٧

(٣) مناهج البحث في الفكر الإسلامي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٨٣

منذ البداية، لأن الخلط بينهما يفتح الباب أمام وهم شائع: أن تطور التقنية يعني بالضرورة تطور الفهم. والحال أن الفهم لا يتقدّم إلا بقدر ما يتقدّم السؤال.(١)

يتميّز الذكاء الاصطناعي بقدرته على معالجة النص القرآني بوصفه بنية بيانات لغوية، قابلة للترميز، والتقسيم، والمقارنة. يمكنه أن يتتبّع الجذور، ويحصي الصيغ، ويقارن التوزيع اللفظي عبر السور، وأن يكشف عن أنماط تكرار لا تظهر بسهولة في القراءة التقليدية. غير أن هذه المعالجة، مهما بدت دقيقة، تظل معالجة للتمثيل لا للمعنى. فالآلة لا تتعامل مع اللفظ باعتباره حاملًا لقصد، بل باعتباره وحدة قابلة للحساب. هنا تكمن القوة وهنا يكمن القصور في آن واحد.(٢)

ومن أكثر ما يغري الباحث في استخدام الذكاء الاصطناعي قدرته على اكتشاف الأنماط. النمط، في ذاته، ليس دلالة، لكنه قد يكون مفتاحًا لها. حين تتكرر صيغة معينة في سياقات مخصوصة، أو يقترن لفظ بموضوع دون غيره، يبرز سؤال دلالي مشروع. الذكاء الاصطناعي هنا يعمل ككاشف، يسلّط الضوء على موضع يستحق التأمل. غير أن الخلل يبدأ حين يتحول النمط إلى تفسير، وحين يُقرأ التكرار العددي بوصفه قصدًا دلاليًا دون المرور عبر اللغة والسياق والمقام.(٣)

وتتجلّى خطورة هذا التحول في مسألة ربط التكرار بالسياق. الخوارزمية تستطيع أن ترصد أن لفظًا ما يتكرر في سياقات معيّنة، لكنها لا تستطيع أن تفهم طبيعة هذا السياق ولا وظيفته البلاغية. السياق في القرآن ليس إطارًا لغويًا فقط، بل شبكة من العلاقات الدلالية والتاريخية والمقاصدية. ربط التكرار بالسياق، إذن، ليس عملية آلية، بل فعل تأويلي مركّب. الذكاء الاصطناعي يقدّم المادة، أما القراءة فهي مسؤولية الباحث، وأي محاولة لإسناد هذا الدور إلى الأداة هي في حقيقتها تنازل عن جوهر البحث العلمي.(٤)

من هنا يصبح التأكيد على أن الذكاء الاصطناعي لا "يفهم" اللغة تأكيدًا منهجيًا لا تقنيًا. الفهم يفترض قصدًا، وإدراكًا للفروق الدقيقة، وحسًّا بالسياق، وكلها أمور لا تدخل في طبيعة عمل الخوارزميات. ما تقوم به هذه الأنظمة هو التعرّف على أنماط، وبناء احتمالات، وترتيب علاقات بناءً

---

(١) مناهج البحث في علوم القرآن، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٩٣

(٢) الفكر المعلوماتي المعاصر وأبعاده الفلسفية، أحمد زكي بدوي، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٤١

(٣) العقل والعلم في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٩٩١، ص ٢١٩

(٤) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٠، ص ١١٨

على معايير مُدخلة سلفًا. القيمة المعرفية لهذه العمليات لا تنبع من ذاتها، بل من الطريقة التي يفسّر بها الباحث نتائجها، ومن الحدود التي يضعها بين ما هو إحصائي وما هو دلالي. (١)

وتزداد أهمية هذا الوعي حين نلاحظ أن الذكاء الاصطناعي لا يعمل في فراغ محايد. البيانات المختارة، وطريقة الترميز، ومعايير التصنيف، كلها قرارات بشرية سابقة على النتيجة. ما يبدو مخرجًا آليًا خالصًا هو في الحقيقة حصيلة سلسلة من الاختيارات غير المرئية. في الدراسات القرآنية، حيث الحساسية عالية، يصبح إغفال هذه الحقيقة مصدرًا لانزلاق منهجي خطير، إذ تُقدَّم النتائج وكأنها "ما قاله النص"، بينما هي في الواقع "ما سمح به الإعداد التقني".(٢)

لهذا كله، لا ينبغي النظر إلى الذكاء الاصطناعي بوصفه قفزة نوعية في فهم اللغة القرآنية، بل بوصفه أداة توسّع مجال الرؤية وتكثّف المعطيات. قيمته الحقيقية تظهر حين يُستخدم لتأكيد سؤال لغوي أو لفتح أفق بحثي جديد، لا حين يُستعمل لإنتاج يقينيات سريعة. كل نتيجة لا تمر عبر ميزان اللغة والسياق تظل معلّقة، مهما بلغت دقّتها الرقمية.(٣)

وعليه، فإن موقع الذكاء الاصطناعي في تحليل الظواهر اللغوية القرآنية هو موقع الوسيط لا المفسّر، والخادم لا الحَكَم. هو يختصر الطريق إلى البيانات، لكنه لا يختصر طريق الفهم. وكلما ازداد اعتماد الباحث عليه، ازدادت حاجته إلى يقظة منهجية أعلى، حتى لا يتحوّل التطور التقني إلى تراجع في عمق القراءة. هذه المعادلة الدقيقة هي ما ينبغي أن يحكم أي اشتغال معاصر على لغة القرآن في عصر الخوارزميات.

---

(١) مناهج البحث في الفكر الإسلامي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٩١.

(٢) الفكر العلمي وأزمة اليقين، عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٨٩

(٣) الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٤٧

المبحث الثاني: الأنماط والتكرار والدلالة في القرآن الكريم في ضوء التحليل الإحصائي بالذكاء الاصطناعي

المطلب الأول: أنماط التكرار اللفظي والتركيبي ودلالاتها المحتملة

لا يظهر التكرار في القرآن الكريم بوصفه أثرًا جانبيًا للغة، ولا نتيجة عجز تعبيري، بل يطلّ كخيار دلالي محسوب، يُعاد فيه اللفظ أو التركيب لأن المقام يطلبه، لا لأن المعجم يفرضه. من هنا يبدأ الفارق الحاسم بين التكرار العددي والتكرار المقصود: الأول يكتفي بإثبات الحضور، والثاني يسأل عن العلة والوظيفة. القراءة الإحصائية، حين تُستدعى إلى هذا المجال، لا ينبغي أن تتوهّم أنها تملك مفتاح الدلالة، بل أن تعترف منذ البداية بأنها تقف عند العتبة، تشير ولا تُقرّر. هذا الاعتراف هو شرط الدخول المنهجي، لا علامة ضعف.(١)

التكرار اللفظي، في صورته البسيطة، يتيح للذكاء الاصطناعي أن يرصد الكثافات والتوزيعات بسرعة ودقة. يمكن للخوارزميات أن تُظهر لنا كيف تتوزع ألفاظ بعينها عبر السور، وكيف تتكدّس في مقاطع دون أخرى، وأن تقارن بين حضورها في سياقات موضوعية مختلفة. غير أن هذه النتائج، مهما بدت لامعة، لا تقول شيئًا عن "لماذا" التكرار. إنها تُخرج الخريطة، لا تفسير الطريق. الخطر يبدأ حين يُخلط بين الخريطة والرحلة، فيُقدَّم التوزيع بوصفه تفسيرًا، لا بوصفه مادة للتفسير.(٢)

أما التكرار التركيبي، فهو أكثر مراوغة وأشد مقاومة للعدّ المباشر. هنا لا يتكرر اللفظ بالضرورة، بل يتكرر النسق: صيغة شرطية، بناء نحوي، ترتيب خاص للجملة. الذكاء الاصطناعي قادر، عبر النمذجة، على التقاط بعض هذه الأنساق، خاصة حين تتكرر بصيغ متقاربة. لكنه، مرة أخرى، يقف عند حدود الشكل. النسق في القرآن ليس قالبًا جامدًا، بل أداة دلالية تتبدّل وظيفتها بتبدّل السياق. ما يبدو تشابهًا تركيبيًا قد يخدم مقاصد مختلفة، ولا سبيل إلى إدراك هذا الفرق إلا بالعودة إلى السياق البلاغي والتفسيري.(٣)

---

(١) الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٢١

(٢) مناهج البحث في علوم القرآن، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢٠١

(٣) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٣٣

تتضح العلاقة الحساسة بين التكرار والسياق حين نلاحظ أن اللفظ الواحد قد يتكرر في القرآن مرات عديدة، لكن كل مرة تأتي محمولة على معنى جزئي مختلف. الذكاء الاصطناعي قد يربط هذه المواضع بخيط عددي واحد، بينما القراءة السياقية تفرّق بينها. هنا يظهر الفرق بين التوافق الإحصائي والدلالة المقصودة. التوافق يقول: "هذا اللفظ يتكرر هنا وهناك"، أما الدلالة فتسأل: "لماذا تغيّر المعنى رغم ثبات اللفظ؟". هذه المسافة بين السؤالين هي المسافة بين التحليل الآلي والفهم الإنساني.(١)

ولا يقلّ الأمر تعقيدًا حين نحاول ربط التكرار بالوظيفة البلاغية. التكرار قد يكون للتوكيد، أو للتقرير، أو لبناء إيقاع خاص، أو لإعادة توجيه الانتباه. هذه الوظائف لا تُستخرج من الرقم، بل من حركة الخطاب. الذكاء الاصطناعي يستطيع أن يشير إلى مواضع التكرار، لكنه لا يستطيع أن يحدّد وظيفته البلاغية، لأن هذه الوظيفة تنشأ من التفاعل بين اللفظ والمقام والمخاطَب. أي محاولة لإسناد هذا الحكم إلى الخوارزمية هي قفز فوق جوهر البلاغة القرآنية.(٢)

من هنا، يصبح دور الذكاء الاصطناعي في دراسة أنماط التكرار دورًا تمهيديًا لا نهائيًا. هو يفتح الباب أمام أسئلة جديدة، ويعيد ترتيب المادّة، ويقترح مسارات للبحث، لكنه لا يغلق النقاش. التكرار الذي لا يُقرأ في سياقه قد يتحول إلى دليل زائف، كما أن تجاهل التكرار بدعوى بلاغته قد يحرم الباحث من مؤشرات مهمة. التوازن بين الحسّ البلاغي والصرامة الإحصائية هو ما يمنح هذا المجال قيمته المعرفية الحقيقية.(٣)

ويزداد هذا التوازن أهمية في عصر الذكاء الاصطناعي، حيث تتكاثر النتائج بسرعة تفوق قدرة العقل على التأمل الهادئ. كثرة الأنماط المكتشفة قد توهم بالثراء الدلالي، بينما هي في الحقيقة ثراء عددي يحتاج إلى غربلة. الباحث هنا مطالب بأن يكون أكثر حذرًا لا أقل، وأن يسأل عن معنى كل نمط، لا عن عددها. فالتوافق الإحصائي، مهما بلغ، لا يتحول إلى دلالة مقصودة إلا إذا شهد له السياق، واللغة، والمقصد.(٤)

---

(١) العقل والعلم في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٩٩١، ص ٢٢٧

(٢) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، ص ٥٨

(٣) مناهج البحث في الفكر الإسلامي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٩٩

(٤) الفكر العلمي وأزمة اليقين، عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٦٤

وخلاصة القول إن أنماط التكرار اللفظي والتركيبي في القرآن الكريم تشكّل مجالًا خصبًا للتكامل بين التحليل الإحصائي والقراءة اللغوية، لا للتنازع بينهما. الذكاء الاصطناعي يكشف مواضع تستحق النظر، لكنه لا يمنحها معناها. المعنى يُبنى ببطء، وبحذر، وبمسؤولية، في منطقة لا تستطيع الآلة أن تقيم فيها وحدها. هذا الإدراك هو ما يحفظ للتكرار دلالته، وللإحصاء قيمته، وللنص القرآني مكانته.

المطلب الثاني: العلاقات الإحصائية بين الألفاظ والموضوعات القرآنية

حين ننتقل من عدّ الألفاظ إلى محاولة ربطها بالموضوعات الكبرى في القرآن الكريم، نكون قد غادرنا منطقة الوصف الآمن إلى مجال أكثر حساسية وتعقيدًا. هنا لا يعود السؤال: كم مرّة ورد اللفظ؟ بل يصبح: مع أيّ موضوع يظهر؟ وفي أيّ سياق؟ وبأيّ وظيفة؟ هذا الانتقال من الكمّ إلى الشبكة هو ما يجعل الذكاء الاصطناعي مغريًا، لأنه قادر على تتبّع اقتران الألفاظ ببعضها، ورصد توزّعها عبر مساحات واسعة من النص، بطريقة تتجاوز قدرة القراءة الخطية التقليدية. غير أن هذا الإغراء يحمل في طيّاته خطرًا منهجيًا إن لم يُضبط منذ البداية.(١)

يمتلك الذكاء الاصطناعي قدرة ملحوظة على بناء ما يمكن تسميته «خرائط اقتران لفظي»، حيث تُرصد الألفاظ التي تظهر معًا في سياقات متقاربة، أو داخل حقول موضوعية بعينها. هذه الخرائط قد تكشف عن ملامح بنيوية في النص، وتساعد الباحث على ملاحظة علاقات لم تكن ظاهرة للعين المجردة. غير أن هذه العلاقات، في ذاتها، لا تحمل معناها، بل تطرح سؤالًا أوليًا فقط: لماذا اقترنت هذه الألفاظ هنا؟ وما طبيعة هذا الاقتران؟ الإحصاء يقدّم مادة السؤال، لكنه لا يمنح جوابًا.(٢)

وتزداد المسألة دقة حين نتحدث عن «الموضوع القرآني». الموضوع في القرآن ليس وحدة مغلقة ذات حدود صارمة، بل شبكة دلالية تتوزّع عبر السور والآيات، وتتداخل فيها القيم، والقصص، والتشريعات، والمقاصد. الذكاء الاصطناعي، بطبيعته، يميل إلى تصنيف الموضوعات وفق معايير لفظية أو إحصائية، بينما يتطلّب الموضوع القرآني قراءة تركيبية تتجاوز اللفظ إلى السياق العام

---

(١) مناهج البحث في علوم القرآن، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢١٣

(٢) الفكر المعلوماتي المعاصر وأبعاده الفلسفية، أحمد زكي بدوي، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٦٩

والخطاب الكلي. هنا يظهر الفرق بين «التجميع الموضوعي» و«الفهم الموضوعي»، وهو فرق لا يمكن ردمه بالخوارزميات وحدها.(١)

إن أخطر ما يمكن أن يقع فيه الباحث هو تحويل الترابط الإحصائي إلى علاقة تفسيرية قطعية. اقتران لفظين في عدد من المواضع لا يعني بالضرورة وجود علاقة دلالية ثابتة بينهما، فضلًا عن أن يكون ذلك دليلًا على قصد موضوعي محدد. الترابط قد يكون عارضًا، أو سياقيًا مؤقتًا، أو مرتبطًا ببنية خطابية خاصة. حين يُرفع هذا الترابط إلى مقام التفسير، دون سند لغوي أو بلاغي أو سياقي، يتحول التحليل الإحصائي من أداة كشف إلى أداة تضليل معرفي.(٢)

ومن هنا تبرز الحاجة إلى ضابط منهجي حاسم: لا تُقبل أي شبكة دلالية مستخرجة آليًا ما لم تُختبر لغويًا وسياقيًا. الألفاظ في القرآن قد تتجاور عدديًا، لكنها تفترق دلاليًا، وقد تتباعد عدديًا لكنها تلتقي في المقصد. الذكاء الاصطناعي لا يملك أن يميّز بين هذين المستويين، لأنه يعمل على مستوى السطح النصي لا على مستوى العمق الدلالي. اختبار الشبكة الدلالية لا يتم عبر تعزيزها بأرقام إضافية، بل عبر مساءلتها بلغة النص نفسه.(٣)

ومع ذلك، لا ينبغي التقليل من قيمة هذه المقاربة حين تُستخدم بوعي. الذكاء الاصطناعي يمكن أن يساعد في كشف التوزيع الموضوعي للألفاظ، وفي تتبّع تحوّل الدلالة من سياق إلى آخر، وفي اقتراح فرضيات بحثية جديدة حول بنية الخطاب القرآني. لكن هذه القيمة تظل استكشافية لا تقريرية. ما يقدّمه النظام هو احتمال منظّم، لا معنى مكتمل. الفرق بين الاحتمال والمعنى هو الفرق بين الأداة والقراءة.(٤)

ويزداد خطر الخلط بين الترابط والدلالة في عصر السرعة البحثية، حيث تُعرض النتائج في رسوم وشبكات جذّابة، توحي بالتماسك واليقين. هذا العرض البصري قد يخفي هشاشة العلاقة الدلالية، ويغري الباحث أو المتلقي بتجاوز مرحلة الفحص النقدي. هنا يصبح التحليل الإحصائي أقرب

---

(١) التفسير والتدبر، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٨٤، ص ٣٤

(٢) العقل والعلم في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٩٩١، ص ٢٣٥

(٣) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٥١

(٤) مناهج البحث في الفكر الإسلامي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٠٤

إلى الإقناع البصري منه إلى الفهم العلمي. مقاومة هذا الانزلاق تتطلّب وعيًا بأن جمال الشبكة لا يساوي صحة معناها.(١)

وخلاصة هذا المطلب أن العلاقات الإحصائية بين الألفاظ والموضوعات القرآنية تمثّل مجالًا واعدًا للتكامل بين التقنية والقراءة اللغوية، لا ميدانًا لإنتاج تفسيرات جاهزة. الذكاء الاصطناعي يوسّع مجال الرؤية، لكنه لا يمنح البصيرة. والبصيرة، في النص القرآني، لا تُنال إلا بالصبر على اللغة، وبالإنصات للسياق، وبالتحرّر من إغراء الرقم حين يتجاوز حدوده. عند هذا التوازن فقط تتحول الشبكات الإحصائية من زخرفة بحثية إلى أدوات مساعدة على الفهم.

المطلب الثالث: من النمط العددي إلى الفهم الدلالي – حدود الاستنتاج وضوابطه

حين تنتهي الخوارزميات من عملها، وتستقر الجداول، وتظهر الرسوم التي توحي بنظام خفيّ، يبدأ السؤال الأصعب: ماذا تعني هذه الأنماط حقًّا؟ هنا يتراجع بريق الرقم قليلًا، ويعود العقل الباحث إلى موقعه الطبيعي. النمط العددي، في ذاته، لا يحمل رسالة؛ هو علامة على انتظام ما، لا على قصد دلالي بالضرورة. الخلط بين الانتظام والمعنى هو أول منزلق في هذا المسار، لأن الانتظام قد يكون ناتجًا عن خصائص لغوية عامة، أو عن بنية السورة، أو عن تكرار موضوعي لا يستدعي تحميلًا دلاليًا خاصًا. إن تحويل الاكتشاف العددي إلى معنى تفسيري يحتاج إلى جسر لغوي وسياقي، وإلا ظلّ النمط معلقًا في الفراغ.(٢)

تتجلّى خطورة الانبهار بالأرقام حين تُقدَّم النتائج الاحتمالية في صورة يقينيات. الإحصاء، مهما بلغت دقته، يعمل بلغة الترجيح لا بلغة القطع. حين يُقال إن لفظًا ما يقترن بموضوع معيّن بنسبة مرتفعة، فهذا لا يعني أن دلالته محصورة في ذلك الموضوع، ولا أن السياقات الأخرى هامشية. الرقم

(١) الفكر العلمي وأزمة اليقين، عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٨١

(٢) مناهج البحث في علوم القرآن، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢٢٨

هنا يضيء زاوية، لكنه لا يغلق المشهد. كل محاولة لتحويل النسبة إلى حكم نهائي هي في حقيقتها قفز على اللغة، وتجاوز لمنطق النص الذي يتعمّد التنويع وتعدّد السياقات.(١)

ويزداد الأمر تعقيدًا حين تُستدعى النتائج الرقمية في خطاب إقناعي موجّه لغير المتخصصين. فالعرض البصري للأنماط والشبكات يمنح شعورًا بالتماسك والصرامة، وقد يُخفي هشاشة الاستنتاج. هنا يتحوّل التحليل الإحصائي من أداة بحث إلى أداة إقناع، ومن مسار استكشافي إلى سلطة صامتة. الضابط المنهجي يقتضي الفصل بين ما هو صالح لطرح فرضية وما هو صالح لبناء تفسير، وعدم الخلط بين الإثارة البصرية والقيمة المعرفية.(٢)

إن الانتقال المشروع من النمط العددي إلى الفهم الدلالي يمرّ عبر شروط صارمة: أولها إمكان الاحتمال اللغوي، وثانيها سلامة السياق، وثالثها الاتساق مع المقاصد العامة للنص. إذا غاب شرط من هذه الشروط، بقي النمط في حيّز الوصف لا التفسير. الذكاء الاصطناعي قد يقدّم مادة غنيّة للاختبار، لكنه لا يملك أدوات التحقق الدلالي. هذا التحقق فعل إنساني مركّب، يستدعي معرفة باللغة وطرائق البيان وتاريخ التفسير.(٣)

كما ينبغي التنبيه إلى أن كثرة الأنماط المكتشفة لا تعني كثرة المعاني. وفرة النتائج قد تكون أثرًا جانبيًا لقوة الأداة لا لعمق النص. هنا يصبح الاقتصاد في الاستنتاج فضيلة منهجية. الباحث الرصين هو من يختار نمطًا واحدًا ويقرأه قراءة عميقة، لا من يستعرض عشرات الأنماط بقراءات سريعة. فالمعنى لا يُستخرج بالتراكم الكمي، بل بالتدقيق النوعي.(٤)

وتبرز هنا قاعدة ضابطة لا غنى عنها: التحليل الإحصائي خطوة في مسار الفهم، لا بديلًا عنه. هو يمهّد الطريق، يلفت الانتباه، ويقترح أسئلة، لكنه لا يقدّم الأجوبة النهائية. كلما تذكّر الباحث

---

(١) العقل والعلم في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٩٩١، ص ٢٤١

(٢) الفكر العلمي وأزمة اليقين، عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٩٣

(٣) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٦٢

(٤) مناهج البحث في الفكر الإسلامي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ١١٦

هذه القاعدة، تحرّر من سطوة الرقم، واستعاد حرية التأويل المنضبط. وكلما نسيها، تحوّل الرقم إلى قيدٍ يحدّ الرؤية بدل أن يوسّعها.(١)

وفي ضوء ذلك، يُختتم هذا المبحث بالتأكيد على أن الذكاء الاصطناعي، رغم ما يتيحه من إمكانات غير مسبوقة، لا يُغيّر طبيعة الفهم القرآني، بل يختبر نضج المنهج الذي يوظّفه. النمط العددي ليس وعدًا بالمعنى، بل دعوة إلى السؤال. والمعنى، في القرآن الكريم، لا يُنال إلا بالصبر على اللغة، والإنصات للسياق، والوعي بحدود الأداة. عند هذا الحد فقط يصبح التحليل الإحصائي إضافة معرفية حقيقية، لا وهْمًا رقميًا أنيقًا.

الخاتمة

وصل هذا البحث إلى نهايته من دون أن يدّعي أنه استنفد موضوعه، لأن الاشتغال على اللغة القرآنية، ولا سيما حين تتقاطع مع أدوات الذكاء الاصطناعي، هو بطبيعته مسار مفتوح لا يُغلق بخاتمة. غير أن ما أمكن تثبيته بوضوح هو أن التحليل الإحصائي، مهما بلغ من الدقة والتعقيد، لا يشكّل قطيعة مع المناهج اللغوية والتفسيرية السابقة، بل يظل امتدادًا لها في مستوى الأداة لا في مستوى الفهم. فالقرآن الكريم نصّ دلالي مقصود، لا تُقرأ لغته بوصفها مادة حسابية، ولا يُفهم انتظامها العددي بمعزل عن سياقها البلاغي والمقصدي.

وقد بيّن البحث أن الذكاء الاصطناعي يفتح أفقًا واسعًا لاكتشاف أنماط لغوية، وتوزيعات لفظية، وعلاقات اقتران لم تكن متاحة بسهولة من قبل، لكنه في الوقت نفسه يضاعف المسؤولية المنهجية على الباحث. فكل نتيجة رقمية هي احتمال، وكل نمط مكتشف هو دعوة للسؤال لا جواب جاهز. وحين تُنقل هذه النتائج من حيّز الاستكشاف إلى حيّز التفسير دون ضوابط لغوية وسياقية، يتحول التحليل من أداة فهم إلى أداة اختزال، ويُختزل النص فيما تسمح به الخوارزمية لا فيما يدل عليه الخطاب.

ومن هنا، يخلص البحث إلى أن القيمة الحقيقية للتحليل الإحصائي المدعوم بالذكاء الاصطناعي لا تكمن في "إثبات" دلالات جديدة، بل في إعادة تنظيم النظر، وتوسيع مجال التساؤل،

---

(١) الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٨١

وكشف مواضع تستحق قراءة أعمق. فالآلة، مهما تطوّرت، لا تفهم اللغة، لكنها تختبر وعي من يستخدمها. وهذا الاختبار هو التحدي الحقيقي الذي يواجه الدراسات القرآنية في العصر الرقمي.

النتائج

١. تبيّن أن الظواهر اللغوية في القرآن الكريم بنى دلالية مقصودة، لا يمكن اختزالها في التكرار العددي أو التوزيع الإحصائي وحده.
٢. ثبت أن التحليل الإحصائي في الدراسات القرآنية نشأ بوصفه أداة وصفية مساعدة، وأن تحوّله إلى أداة تفسيرية مباشرة أدّى في بعض المقاربات إلى اختزال المعنى.
٣. أظهر البحث أن الذكاء الاصطناعي يمثّل تطورًا كبيرًا في أدوات المعالجة اللغوية، لكنه لا يشكّل منهجًا مستقلًا للفهم، بل يعتمد كليًا على وعي الباحث وحدود ما يطلبه من الأداة.
٤. تبيّن أن أنماط التكرار اللفظي والتركيبي في القرآن لا تكتسب دلالتها من كثافتها العددية، بل من علاقتها بالسياق والمقام والوظيفة البلاغية.
٥. ثبت أن العلاقات الإحصائية بين الألفاظ والموضوعات القرآنية تكشف ترابطات محتملة، لكنها لا ترقى بذاتها إلى علاقات تفسيرية قطعية دون سند لغوي وسياقي.
٦. أظهر البحث أن الانبهار بالأرقام، وتحويل النتائج الاحتمالية إلى دلالات نهائية، يمثّل أحد أخطر التحديات المنهجية في توظيف الذكاء الاصطناعي في الدراسات القرآنية.
٧. تبيّن أن التحليل الإحصائي، مهما بلغت دقته، يظل خطوة تمهيدية في مسار الفهم، لا بديلًا عن القراءة اللغوية والتفسيرية المتأنية.

التوصيات

- ضرورة التأكيد في الدراسات القرآنية المعاصرة على أن التحليل الإحصائي والذكاء الاصطناعي أدوات مساعدة، لا مصادر مستقلة لإنتاج الدلالة.
- الدعوة إلى بناء أطر منهجية واضحة تضبط الانتقال من النمط العددي إلى الفهم الدلالي، وتمنع الخلط بين الترابط الإحصائي والقصد التفسيري.
- تعزيز التكامل بين المتخصصين في علوم القرآن واللغة العربية، وبين الباحثين في التحليل الحاسوبي والذكاء الاصطناعي، لتجنّب القراءة الأحادية للنص.

- توجيه الدراسات المستقبلية إلى استخدام الذكاء الاصطناعي في كشف الأسئلة المنهجية حول اللغة القرآنية، لا في تكثير النتائج الرقمية ذات القيمة المحدودة.
- التحذير من توظيف النتائج الإحصائية في الخطاب الدعوي أو الإعلامي بوصفها حقائق نهائية، لما في ذلك من تعريض النص القرآني لهزّات معرفية غير مبرّرة.
- إدراج البعد النقدي والأخلاقي ضمن مشاريع التحليل الآلي للنص القرآني، لضمان بقاء المعنى فوق الأداة لا تابعًا لها.
- تشجيع البحوث التي تنتقل من استعراض الأنماط إلى دراستها دراسة نوعية معمّقة، ولو على حساب تقليل عدد النتائج، حفاظًا على عمق الفهم.

المصادر والمراجع

بعد القرآن العظيم

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٧٤م.
٢. أصول التفسير وقواعده، خالد بن عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
٣. الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٤. بنية الثورات العلمية، توماس صموئيل كوهن، ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ١٩٩٩م.
٥. بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٥، ٢٠٠٢م.
٦. التفسير والتدبر، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، ط١، ١٩٨٤م.
٧. العقل الأخلاقي العربي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠١م.
٨. العقل والعلم في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ط٣، ١٩٩١م.
٩. الفكر الإسلامي المعاصر، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥م.

١٠. الفكر العلمي وأزمة اليقين، عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
١١. الفكر المعلوماتي المعاصر وأبعاده الفلسفية، أحمد زكي بدوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
١٢. مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.
١٣. مناهج البحث في الفكر الإسلامي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
١٤. مناهج البحث في علوم القرآن، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

References

1. **Al-Itqān fī □Ulūm al-Qur□ān (Mastery in the Sciences of the Qur'an)**, Jalāl al-Dīn □Abd al-Ra□mān ibn Abī Bakr al-Suyū□ī, Egyptian General Book Authority, Cairo, 4th ed., 1974.
2. **Principles and Rules of Qur'anic Interpretation**, Khālid ibn □Abd al-Ra□mān al-□Akk, Dār al-Nafā□is, Beirut, 2nd ed., 1990.
3. **Rhetorical Inimitability in the Holy Qur'an**, □Abd al-Qāhir ibn □Abd al-Ra□mān al-Jurjānī, Dār al-Kutub al-□Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1998.
4. **The Structure of Scientific Revolutions**, Thomas Samuel Kuhn, trans. Shawqī Jalāl, □*Ālam al-Ma□rifah* Series, Kuwait, 1st ed., 1999.
5. **The Structure of Arab Reason**, Mu□ammad □Ābid al-Jābirī, Arab Unity Studies Center, Beirut, 5th ed., 2002.
6. **Interpretation and Contemplation**, Mu□ammad al-□āhir ibn □Āshūr, Dār Sa□nūn, Tunis, 1st ed., 1984.
7. **The Arab Moral Reason**, □āhā □Abd al-Ra□mān, Arab Cultural Center, Casablanca, 2nd ed., 2001.
8. **Reason and Science in the Holy Qur'an**, Mu□ammad □Abd Allāh Dirāz, Dār al-Qalam, Kuwait, 3rd ed., 1991.
9. **Contemporary Islamic Thought**, Mu□ammad □Imārah, Dār al-Shurūq, Cairo, 3rd ed., 2005.
10. **Scientific Thought and the Crisis of Certainty**, □Abd al-Karīm Bakkār, Dār al-Salām, Cairo, 1st ed., 2013.
11. **Contemporary Informational Thought and Its Philosophical Dimensions**, A□mad Zakī Badawī, Dār al-Nah□ah al-□Arabiyyah, Beirut, 1st ed., 2005.

12. **Studies on the Inimitability of the Qur'an**, Mu□□afā □ādiq al-Rāfi□ī, Dār al-Kitāb al-□Arabī, Beirut, n.d.
13. **Research Methodologies in Islamic Thought**, □Abd al-Ra□mān Badawī, Arab Institution for Studies and Publishing, Beirut, 2nd ed., 1984.
14. **Research Methodologies in Qur'anic Sciences**, Mu□ammad □usayn al-Dhahabī, Dār al-□adīth, Cairo, 1st ed., 2005.